من نجوم الإسلام
(١٠)



الجواد، الخيّر، الفيّاض

تأليف
عبد الله الطنطاوي

دار القلم
دمشق

الدّار الشّاميّة
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار القلم

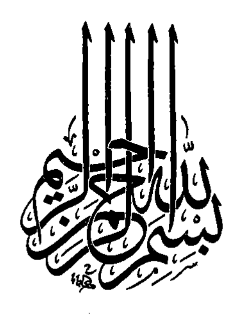
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

طلحة بن عبيد الله

الجواد، الخير، الفياض



بسم الله الرحمن الرحيم

حَدَّثنا الفتى صادق أمين قال:

يبدو أنّ خطيب مسجد الحيِّ عندنا، قد استمرأ الحديث عن أجواد المسلمين، فكانت خطبته السابقة عن إنفاق الصحابيّ الجليل عبد الرحمن من عوف رضي الله عنه، وخطبة جمعة اليوم، عن إنفاق طلحة الخير بن عبيد الله، صنو الزبير، وزميله وشقيق روحه، إذ لا يكاد يُذكر أحدهما حتى يُذكَر الآخر مباشرة.

ولقد كانت خطبته مؤثرة جداً، حفظت منها أشياء، ونسيت أشياء لا تقلُّ أهمّيّة عنها، وأنا لا ألوم الخطيب لغزارة المعلومات التي قدّمها، خلال نصف ساعة من الزمن، بل ألوم نفسي، لأنني لم أستعدّ الاستعداد الكافي، لتسجيل الخطبة.

وكان مما وعيت من خطبته، قوله:

روى الإمام الترمذي، «أن طلحة بن عبيد الله، أتاه مالٌ من حضرموت، سبع مئة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته:

ــ ما لك؟

قـال:

ــ تفكّرتُ منذ الليلة، فقلت:

ما ظنُّ رجلٍ بربّه، يبيت وهذا المال في بيته؟

قالت:

ـ فأين أنت عن بعض أخلاّئك؟ فإذا أصبحتَ، فادعُ بِجِفَانٍ وقِصَاع، فقسِّمْه.

فقال لها:

ـ رحمكِ الله، إنك موفَّقة بنت موفّق، (وهي أمُّ كلثوم بنت الصِّدِّيق).

فلما أصبح، دعا بِجِفان، فقسَّمَها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليٍّ منها بجَفْنَةٍ، فقالتْ له زوجته:

ـ أبا محمد!. أمَا كان لنا في هذا المال نصيب؟

قـال:

ـ فأين كنتِ مُنْذُ اليوم؟ فشأنك بما بقي.

قالت:

ـ فكان صرّة فيها نحو ألف درهم».

فتعالت هتافات المصلين بالتكبير والتهليل، ثم قال الخطيب:

ـ أرأيتم إلى كرم طلحة الخير؟

من سبع مئة ألف، أبقى لأهله ألفاً واحداً، ولولا تذكير زوجته إياه، لما أبقى لهم شيئاً..

ثم.. ما هذه المرأة الصالحة التي تعينه على فعل المعروف، وتحضّه على برّ إخوانه، ليكون السبّاق في عالم المروءات؟

أين هي المرأة التي تشبه أمَّ كلثوم بنت الصّدّيق، في مساعدة زوجها ليكون صاحب اليد العليا، ليكون طلحة الفيّاض بالخيرات والمبرّات، ليكون حبيبَ الرحمن بما يبذل لإخوانه المهاجرين والأنصار من حرّ ماله، ثم لا يُبْقي لأسرته من ذلك المال الوفير، إلاّ ألفاً؟

وتابع الخطيب يقول:

ـ وجاء أعرابيٌّ إلى طلحة يسأله، فتقرّب إليه برَحِمٍ، فقال طلحة:

ـ إنّ هذه لرحمٌ ما سألني بها أحدٌ قبلك. إنّ لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثَ مئةِ ألف، فاقبضْها، وإن شئتَ بعتُها من عثمان، ودفعتُ إليك الثمن.

فقال الأعرابي: الثمن.

فأعطاه طلحة ثلاث مئة ألف ثمناً لتلك الأرض.

فتتالت الصيحات من هنا وهناك، معبّرةً عن إعجاب المصلّين بجود هذا الرجل العظيم.

وقال خطيب الجمعة:

ـ ودخلتْ عليه زوجتُه سُعدى بنت عوف المرّيّة يوماً وهو خاثر (أي غير نشيط) فقالت له:

ـ ما لك؟ لعلّه رابَك من أهلك شيء!.

قال:

ـ لا والله، ونِعْمَ حليلةُ المسلم أنتِ، ولكنْ.. مالٌ عندي قد غمّني.

فقالت:

ـ ما يغمُّك؟ عليك بقومك!.

قال طلحة:

ـ يا غلام!. ادعُ لي قومي.

فدعاهم غلامه، فقسَّم فيهم ما كان عنده من مال، وكان أربعَ مئةِ ألف.

فتجاوبت جنبات المسجد بالهتاف والتهليل والتكبير، وقال الخطيب:

ـ أرأيتم ما أهمَّه وأغمَّه؟.. إنه المال.. المال المُكدَّس عند خازنه.. إنه لا يفكر في كيفية خزنه، وشراء القصور والخيول، بل أهمَّه ألا ينفقه على المسلمين.. ولذلك بادر إلى إنفاقه على المسلمين، وزوجته تشجّعه، لأنها تعرف أن المكرمات لا تكون بحبس المال، وزيادة الأرصدة، والتكاثر به، والتفاخر على عباد الله، كما يفعل كثير من أغنياء اليوم، غير مدركين، أنهم لن يأخذوا معهم إلى أخراهم، إلاَّ ما قدّموه لأنفسهم، إلاَّ ما أنفقوه في سبيل الله، وفي وجوه الخير الشتى، في وقف الأوقاف على طلبة العلم، في بناء المدارس والمعاهد، في تزويج الشبان المعسرين، في جبر خواطر الفقراء والمساكين، من الذين يحسبهم الناس أغنياء من التعفف.

ثم رفع الخطيب كلتا يديه إلى السماء وقال:

ـ يا ربّ.. هيّـىء لأغنياء المسلمين قلوباً كقلب طلحة والزبير وابن عوف.

فأمَّنَ الناس خلفه:

ـ آمين.

ـ يـا ربّ.. هيّـىء لأغنيـاء المسلميـن زوجـات صـالحـات كريمات، يفهمْنَ معنى النخوة والشهامة والكرامة والمروءة، ويُشِرْنَ على أزواجهنّ بها، ليفوزوا برضا الله والناس، ويخفّفوا من مواجع فقراء المسلمين، يا ربَّ العالمين.

فدوّى المسجد بقول:

ـ آمين.

وتابع الخطيب يقول:

ـ وكان طلحة يُغِلُّ في العراق، أربع مئة ألف، ويُغِلُّ بالسَّراة عشرة آلاف دينار، وكان له في الأعراض غلاّت، وكان لا يدع أحداً من قبيلته من بني تيم عائلاً إلاَّ كفاه، وقضى دينه، ولقد كان يرسل إلى أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ إذا جاءت غلّته ـ كلَّ سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن صُبَيْحة التيمي ثلاثين ألفاً.

وعلّق الخطيب على هذه بقوله:

ـ أرأيتم الغنى الحقيقي؟

ألا ما أصدقك يا سيِّدي يا رسول الله: «نعم المال الصالح للرجل الصالح».

نعم المال الحلال لطلحة الفياض الذي لم يدعْ واحداً من أبناء قبيلتـه إلاَّ كفـاه مـؤونتـه، ولـو بلغـتْ عشـراتِ الآلاف مـن الـدراهـم

والدنانير، وليس لأولئك الأغنياء الأقزام، الذين يبيتون متخمين، وجيرانهم وأقرباؤهم يبيتون على الطّوى، يتضورون من الجوع..

ثم صاح الخطيب بأعلى صوت:

ــ ألا نعم المال الصالح للرجل الصالح!

ألا بئس المال للرجل البخيل!.

ألا بئس البخلاء ومال البخلاء!.

ألا تعس وانتكس عبد الدرهم والدينار!.

فهبَّ المصلّون يهتفون ويكبّرون من كلّ جانب، في ثورة ثائرة، خشيت أن يخرج المصلون بعدها في تظاهرة مدمّرة، كثورات الفقراء والمعوزين، على الأغنياء البخلاء، يحطّمون سياراتهم، وقصورهم، ولكنّ خطيب الجمعة، تابع يقول في صياح علا فوق صياح الهاتفين:

ــ واسمعوا أيها الإخوة الأحبّة..

لقد رأى طلحة اثنين من المسلمين، قد أثقلتهما الديون التي ركبتهما بسبب مروءاتهما، وهما عبيد الله بن معمر، وعبد الله بن عامر بن كُرَيز، فقضى عنهما ثمانين ألف درهم، ليعينهما على فعل المروءات.

وذكرت زوجته سُعدى بنت عوف، أن زوجها طلحة، تصدّق يوماً بمئة ألف.

وباع طلحة رضي الله عنه، سيِّدَنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه أرضاً بسبع مئة ألف، فحملها إليه عثمان، فلمّا جاء بها قال طلحة:

ــ إنّ رجلاً تبيت هذه عنده في بيته، لا يدري ما يطرقه من أمر الله، لغرير بالله، أي لمغرور، فبات طلحة ورُسُلُه تختلف في سكك المدينة حتى أسحر (أي جاء وقت السَّحَر) وما عنده من درهم.

فعادت الهتافات والصيحات بتكبير الله وحمده، فصاح الخطيب:

عليك رضا الرحمن يا طلحة الندىٰ   ولا زلتَ بين الأكرمينَ إماما

وقال الخطيب:

ــ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

«صحبتُ طلحة، فما رأيت رجلاً أعطى ــ لجزيل مالٍ من غير مسألة ــ منه» أي أن طلحة الفياض، كان يعطي الرجل الذي لم يسأله ولم يطلب منه شيئاً، كان يعطيه المال الكثير الجزيل، وهذا ما لم يشهده سيِّدنا جابرٌ بن عبد الله من أحد غيره قطّ.

وقال بعض أولاد طلحة:

ــ لبس طلحة، يوماً، رداء نفيساً، فبينا هو يسير، إذا رجلٌ قد استلّه، أي سرقه منه، فقام الناس إليه فأخذوه منه، فقال طلحة:

ــ ردّوه عليه.

فلمّا رآه الرجل يتصرف معه هذا التصرف النبيل، تصرّف صاحب المروءات والنخوات، رمىٰ بالرداء إلى طلحة، فقال له طلحة:

ــ خذه بارك الله لك فيه..

وسكت طلحة لحظاتٍ ثم قال:

ــ إني لأستحيي من الله أن يؤمّل فيَّ أحدٌ أملاً فأخيِّب أمله!.

فارتجّت جنبات المسجد بالهتاف والتهليل والتكبير، لمروءة أبي المروءات طلحة الخيرات والنجدات.. لطلحة الطلحات!.

وقال خطيب الجمعة:

ــ سمع عليٌّ كرّم الله وجهه، رجلاً ينشد:

فتىً، كان يدنيه الغنىٰ من صديقه إذا ما هو استغنىٰ، ويبعده الفقر

فقال عليٌّ:

ــ ذلك أبو محمد طلحة.

الحقّ.. أن الخطبة كانت بليغة ومؤثرة، فاضت لها أعين الناس، وبُحَّتْ حناجر بعضهم من شدّة الهتاف، وكان كلٌّ من في المسجد، حتى الأغنياء الممسكون الذين يعظون الناس ولا يتعظون، والذين يبخلون بما أعطاهم الله من فضله.. أقول.. حتى بعض هؤلاء، ظهر التأثر على وجوههم، وإن كنت أعتقد أن أيديهم لن تمتدَّ إلى خزائنهم، لينفقوا منها واحداً في الألف، أو في المليون.. ولله في خلقه شؤون..

وبعد انتهاء الصلاة، صحبتُ أختي صادقة، وعدنا إلى البيت، وأنا أتفرّس في وجه من ألقاه، لأعرف ما إذا كان قد تأثر بالخطبة أم لا..

وعلى مائدة الغداء كنا نتحدث عن جود طلحة الجود، فقالت أختي صادقة:

ـ خيرٌ من هذا الكلام، أن نأخذ شيئاً من هذا الطعام، لنقدّمه لدار الأيتام.

فضحكنا من سجعات صادقة، فهبّتْ واقفة تقول:

ـ أنا لا أمزح.. هكذا انسالت الكلمات على لساني..

فوعدها أبـي بأن يقدِّم لدار الأيتام غداً، راتباً كاملاً.. راتب شهر كامل، فجلست صادقة، والسعادة في عينيها تلتمع.

وبعد صلاة العصر، تمددت على سريري كالمعتاد، وإذا أنا برجل مربوع القامة، إلى القصر أقرب، أبيض البشرة، محمرّها، رحب الصدر، عريض المنكبين، ضخم القدمين، كثير الشعر، حسن الوجه، دقيق الأنف، قد وَخَطَ الشيب شعر رأسه ولحيته، مهيب الطلعة، فقمت مرحباً به:

ـ أهلاً وسهلاً يا عمّ.. تفضّل بالجلوس على هذا الكرسيّ.

وبعد أن استقرّ على كرسيّه قال:

ـ أهلاً بك يا بنيّ.. من أنت؟

فدخلت صادقة وهي تقول:

ـ هـذا أخـي صـادق يـا عمّـي الكـريـم، وأنـا صـادقـة، فمـن أنت؟

قال وإكليلٌ من البسمات العِذاب يتوّج شفتيه:

ـ أنا من كنتم تذكرونه على مائدة الغداء.

فهتفت صادقة:

عرفتُك. . أنت طلحة الجود يا عمّي. . أليس كذلك؟

ـ أجل. . وقد سمّاني رسول الله ﷺ طلحة الجود في غزوة حنين.

نهضت عن سريري، وقرّبتُ كرسيّاً من سيِّدي طلحة، واستأذنتُه في الجلوس، فقال:

ـ لا يؤمر الرجل في بيته، وهذا بيتك يا بنيّ، إن شئتَ جلستَ، وإن شئت قمتَ واقفاً، أو وقفتَ قائماً. . على أيّ حال، تفضلْ واجلسْ حيث تريد.

جلستُ على كرسيّي المعتاد، ثم قلت:

ـ هل تعرّفنا على شخصكم الكريم يا سيّدي؟

فقال:

ـ اسمي طلحة بن عبيد الله القرشي التَّيْمي، يجتمع نسبي مع رسول الله ﷺ في مُرَّةَ بن كعب، ويجتمع نسبي مع أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه في كعب بن سعد بن تيم، وأمّي هي الصَّعبة بنت عبد الله، أخت العلاء بن الحضرمي، وأُكنى أبا محمد، ومحمد هو ابني الملقب بالسجّاد، لصلاحه وكثرة صلاته. . هل أزيد؟

ـ ولقبك؟

ـ لقّبني رسول الله ﷺ يوم أُحُد بطلحة الخير، ولقّبني النبيُّ الكريم بطلحة الفياض في غزوة ذات العُشَيْرَة، كما لقبني بطلحة الجود في غزوة حنين.

فهتفت:

ـ ما شاء الله!.. هنيئاً لك يا سيِّدي هذا الشرف العريض، بقتالك تحت لواء الرسول القائد، سيّد المجاهدين، وقائد الغُرّ المحجَّلين! حتى لقّبك بهذه الألقاب الثلاثة (طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض) ممّا يدلّ على رضاه عنك، ورضا الله العظيم عنك يا سيِّدي.

وقالت صادقة:

ـ ماذا عن إسلامك يا سيِّدي؟

قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وأرضاه:

ـ سأحكي لكم حادثة طريفة، كانت السبب المباشر في إسلامي..

حضرتُ بسوق بُصرى، فإذا راهبٌ في صومعة يقول:

ـ سلُوا أهلَ هذا الموسم، أفيهم أحد من الحرم (يعني من مكة المكرمة)؟.

قلت:

ـ نعم.. أنا.

قال الراهب:

ـ هل ظهر أحمد؟

قلت:

ـ ومن أحمد؟

قـال:

ـ ابن عبد الله بن عبد المطلب!. هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخلٍ وحرّةٍ وسباخ (يعني مدينة يثرب التي صار اسمها بعد هجرة النبـي إليها: المدينة المنورة). فإياك أن تُسبقَ إليه.

فوقع في قلبـي ما قال، فخرجت مسرعاً حتى قدمتُ مكة فقلت:

ـ هل كان من حدث؟ (هل حدث شيء جديد وخطير بعد أن غادرت مكة؟).

قالوا:

ـ نعم. محمد بن عبد الله الأمين تنبّأ، وقد تبعه ابن أبـي قحافة (يعني أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه).

فخرجتُ حتى دخلتُ على أبـي بكر، فقلت:

ـ اتّبعت هذا الرجل؟

قال أبو بكر:

ـ نعم.. فانطلقْ إليه، فادخلْ عليه، فاتبعْه، فإنه يدعو إلى الحقّ.

فأخبرتُ أبا بكر بما قال الراهب، فسُرَّ به.

ثم انطلقنا إلى رسول الله ﷺ، وأخبرته بما قال الراهب، فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك. هكذا أسلمت.

فهتفت صادقة:

ــ هنيئاً لك يا جدّي البطل على سبقك إلى الإسلام، وعلى سماعك حديث ذلك الراهب، وعلى إسلامك على يد الصّدّيق رضي الله عنه.

وسألتُ سيِّدي طلحة:

ــ هل تعرّضت لتعذيب المشركين يا سيِّدي؟

ــ طبعاً.. وهل نجا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أنجو؟ فعندما علمتْ قريش بإسلامي، ساءها ذلك، فما كان من نوفل بن خويلد إلاَّ أن يأخذني وأبا بكر، ويشدّنا في حبل واحد، ويصبّ علينا جام غضبه.

فسألت:

ــ وأهلك وعشريتك من بني تيم، ألم يمنعوكما من قريش، ومن نوفل بن خويلد ذاك.

قال طلحة:

ــ لا.. لم يمنعونا، لأنهم كانوا غِضاباً على أبي بكر الذي كان يدعو الناس إلى الإسلام، وكان من يدعوه سريع الاستجابة له، كما كانوا مستائين من إسلامي.

فقالت صادقة:

ــ ولذلك أطلقوا عليك وعلى سيِّدي الصّدّيق لقب (القرينين)؟

قال طلحة:

ـ نعم يا ابنتي، لأنّ ابن خويلد قرننا في حبل واحد.

وسألت صادقة:

ـ وأمُّك الصَّعْبة يا جدي الفاضل؟.

قال طلحة:

ـ أمي الصَّعبة كانت صعبة المراس.

ـ لكل مسمًّى من اسمه نصيب.

فتابع طلحة رضي الله عنه:

ـ لقد عذّبتني أمّي الصعبة ـ سامحها الله ورضي عنها ـ وآذتني.. كانت، رحمها الله، توثقني بالحبل، تجمع يدي إلى عنقي، وتسوقني أمامها وهي تدمدم وتسبّني، سامحها الله، فقد أسلمتْ، والإسلام يجبُّ ما كان قبله!.

وسألتُ أنا:

ـ وإخوتك يا سيِّدي؟

أجاب طلحة بن عبيد الله:

ـ أسلم أخي عثمان بن عبيد الله، وحَسُنَ إسلامه، أمّا أخي الثاني، فقد قُتِل كافراً في غزوة بدر.

قالت صادقة:

ـ نحن نعرف يا سيّدي، ويا جدّي الفاضل، أنّك أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ وأنك أحد السابقين إلى الإسلام، وأنك أحد الذين أسلموا على يد أبي بكر

رضي الله عنه، وأنك أحد الستة الذين حصر أمير المؤمنين عمر الشورى بينهم، ليختاروا واحداً منهم خليفة للمسلمين، والآن نريد أن تحدّثنا عن مسيرتك الجهادية.

طلحة: هاجرتُ مع من هاجر من المسلمين إلى المدينة المنوّرة مع آل أبي بكر رضي الله عنه.

صادق: هل هاجرت، يا سيِّدي، بعد هجرة النبيِّ وصاحبه أبي بكر؟

طلحة: نعم.. ولذلك اصطحبتُ معي آل أبي بكر رضي الله عنه. ونزلتُ ضيفاً معزَّزاً مكرَّماً عند الأنصاريِّ النبيل الكريم: أسعد بن زُرارة رضي الله عنه، وآخى رسول الله ﷺ بيني وبين أخي في الله: كعب بن مالك رضي الله عنه.

صادقة: كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تخلَّفوا عن الجهاد في غزوة تبوك؟.

طلحة: نعم.. وقد اعترف بذنبه وتقصيره، وتاب، وحسُنَتْ توبتُه، فقبلها الله تعالى منه.

صادق: ثم ماذا يا سيِّدي؟

طلحة: فاتتني المشاركة في القتال يوم غزوة بدر تحت لواء سيِّد المرسلين محمد ﷺ.

صادق: لماذا حرمتَ نفسك من هذا الشريف العظيم يا سيِّدي؟

طلحة: لأنّ رسول الله ﷺ كلّفني بمهمّة، وعندما أنهيتُ

مهمتي، كانت المعركة قد انتهت، والهزيمة قد حلّت بالمشركين، وعاد رسول الله ﷺ وأصحابه الأبطال، متوَّجين بأكاليل غار النصر المؤزّر.

صادق: هل تذكر لنا تلك المهمة يا سيِّدي؟

طلحة: إنها ليست بعيدة عن جوّ المعركة، بل هي من صُلْبها، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ انتهى إلى علمه، في يوم من أيام السنة الهجرية الثانية، أنّ قافلة مهمة من قوافل قريش، تمرُّ قريباً من المدينة المنوّرة، فأراد أن يستيقن من صحة ذلك، فانتدبني وأخي في الله، سعيد بن زيد لنتحسّس أمر تلك القافلة، عند مكان في الصحراء، يسمى (الحوراء). وقمنا بهذه المهمة، فراقبنا الطرق في تلك الصحراء، وتلمَّسْنا أخبار القافلة، وعرفنا أنها قد تحركتْ، فعدنا مسرعينِ إلى المدينة المنوّرة، لنخبر النبيَّ ﷺ بخبرها.

فوجئنا ــ في المدينة ــ بخروج رسول الله ﷺ بالمسلمين، وعلمنا أنه عسكر بالمسلمين عند ماء بدر، فلم نسمح لأنفسنا بالاستراحة، بل أسرعنا إلى بدر، لنشارك في القتال في سبيل الله تعالى.

والتقينا رسولَ الله ﷺ في الطريق.. كان قد انتهى وأصحابه الأبطال، من غزوة بدر، وهزموا المشركين هزيمة منكرة، فأصابني حزن شديد، لفوات شرف القتال تحت راية رسول اللّهِ.

الجميع: صلى الله عليه وسلم.

طلحة: ولكنّ أنبل الناس، وقائد المجاهدين، طمأننا إلى حصولنا على أجر المشاركة في المعركة، ولو لم نحضرها، لأننا كنّا

في مهمة قتالية، كما أعطانا حصَّتنا من الغنائم كسائر المجاهدين الذين قاتلوا في بدر، وعدَّنا في جملة البدريين.

صادقة: لعلمه ــ عليه السلام ــ بصدقكما، وإخلاصكما، وأهميّة ما كنتما تقومان به من التجسس على العدو، لمعرفة نقاط القوّة والضعف لديه.

صادق: وإن كنتُ أحزن أشدّ الحزن لما جرى في غزوة أُحُد من مخالفة الرماة أوامر الرسول القائد، عليه الصلاة والسلام، وتسبُّبهم في قلب النصر إلى هزيمة، فإنني أحبُّ أن أعرف دورك في تلك الغزوة التي أعطتْنا دروساً قاسية لا تُنسىٰ في نتائج الطاعة والعصيان يا سيِّدي.

طلحة: لا تحزن على ما فات يا بني، وخذ العبرة منه، حتى لا يتكرر الخطأ، فتتكرر الهزيمة..

وسكت سيِّدي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه لحظات ثم قال:

ــ كان رسول الله ﷺ قد نظّم الجيش، ووضع الرماة فوق الجبل، لحماية ظهور المجاهدين، وأمرهم ألَّا يبرحوا أماكنهم في حال النصر أو الهزيمة.

وابتدأت المعركة، وحمي وطيسها، واستبسل المجاهدون، وحملوا على المشركين حملات صادقة زحزحتهم عن أماكنهم، فولّوا الأدبار، تاركين أرض المعركة والمسلمون يطاردونهم.

وشاهد الرماة هذا المشهد، فظنوا أنّ المعركة قد انتهت بنصر

الإسلام وهزيمة المشركين، فتركوا أماكنهم، ونزلوا للمشاركة في جمع الغنائم والأسلاب، ونسوا أوامر الرسول المشدّدة.

ورأى خالد بن الوليد ـ الفارس المقدام، والقائد المحنك ـ رأى الرماة ينزلون عن الجبل، فاهتبلها فرصة سانحة، فالتفَّ على المسلمين من ورائهم دون أن يشعروا، ثم انقضّ عليهم فشتّتَ جمعهم، وأنزل بهم الهزيمة بعد النصر، وبقي رسول الله ﷺ في الميدان ثابتاً كالطود الأشمّ، وثبت حوله عدد من الأبطال، وكنتُ ممن ثبت معه، وقاتل دونه، ودافع عنه، فقد تكالب المشركون عليه، يريدونه بأيّ ثمن.

وقد جُرحتُ يومها، جراحات كثيرة، وأُصبتُ بأصابعي، وفي أنحاء جسمي.. تصوّروا يا حفدتي البررة، قائدكم رسول الله ﷺ وقد كُسرتْ رَبَاعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه، وغُشي عليه.. ماذا كنتم تفعلون؟

لقد احتملتُ رسول الله ﷺ، ورجعتُ به القهقرى، كلما أدركه أحد المشركين، أُنزلُه عن كاهلي، وأقاتل دونه، حتى وصلتُ به إلى الشِّعب، وأسندتُه إليه.

ـ الله أكبر.. الله أكبر..

ـ ويحكم أيها الرماة..

ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

وقالت صادقة:

ـ عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت:

كان أبو بكر، إذا ذُكِرَ يومُ أُحُدٍ قال:

ـ «ذلك كلُّه يومُ طلحة».

يقول أبو بكر:

ـ «كنتُ أوّلَ من فاءَ (أي رجع) إلى رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فقال لي ولأبـي عبيدة:

«عليكما صاحبكما».

(أي الزموا صاحبكما طلحة، فقد نزف). فأصلحْنا من شأن النبـي ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض الحُفَر (التي صنعها أبو عامر الراهب للإيقاع بالمسلمين) فإذا به بضع وسبعون أو أقلّ أو أكثر، بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه».

وتذكرت أني قرأت هذا الكلام في كرّاسة لأختي صادقة، جاء فيها أيضاً كلام حول دور سيِّدي طلحة في غزوة أُحُد، فقلت:

ـ وعن عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام قال:

«كان على رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ درعان، فذهب لينهضَ على صخرة، فلم يستطع، فَبَرَكَ طلحة بن عبيد الله تحته، وصَعِدَ رسولُ الله ﷺ على ظهره، حتى صعِد على الصخرة، فسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«أوجَبَ طلحة».

أي جاء بعمل عظيم أوجَبَ له الجنة.

طلحة: ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من تلك الحفر التي عملها أبو عامر، ليقع فيها المسلمون، فأخذ عليٌّ بيد رسول الله ﷺ، ورفعتُه حتى استوى قائماً، عليه الصلاة والسلام.

صادقة: أحفظ حديثاً عن أبـي هريرة رضي الله عنه، أنّ طلحة لمّا جُرح يوم أُحُد، مسح رسولُ الله ﷺ بيده الكريمة على جسده وهو يقول: «اللهمّ اشفِه وقوِّه».

طلحة: واستجاب الله دعوة رسوله الكريم، فقمتُ صحيحاً، ورجعتُ إلى العدوّ، واستأنفتُ القتال الذي يرضي ربّـي ونبيّـي وإخواني المسلمين.

صادقة: بارك الله فيك يا جدّي العظيم على ما أبليتَ وضحَّيتَ في سبيل الله.

صادق: ثم ماذا يا سيِّدي؟

طلحة: وفي هذه الغزوة، غزوة أحُد، لقّبني رسول الله ﷺ بطلحة الخير.

صادقة: وأنت أهلٌ لهذه التسمية يا جدّي العزيز.

صادق: ثم ماذا عن جهادك يا سيِّدي؟ هل من ذكرى في أُحُد أو غيرها؟

طلحة: سأروي لكما حادثة ممّا جرى بعد أن ولَّى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد.. وما جرى كثير، وما جرى مخيف، لأن رسول اللَّهِ..

الجميع: صلى الله عليه وسلم.

طلحة: كان هدفَ المشركين..

كان رسول الله ﷺ في ناحية، في اثني عشر رجلاً، كنتُ واحداً منهم. فأدركَنا المشركون، فقال النبـيُّ ﷺ:

«مَن للقوم؟»

قلتُ: أنا.

فقال النبـيُّ ﷺ: «كما أنت» أي الزم مكانك، ولا تبارحْه.

فقال رجل: أنا.

قال النبـيّ: أنت.

فقاتل حتى قُتل.

ثم التفتَ النبـي ﷺ، فإذا المشركون، فقال: «من لهم؟».

قلت: أنا يا رسول اﷺ.

قال: كما أنت.

فقال رجل من الأنصار: أنا.

قال: أنت.

فقاتل حتى قُتل. فلم يزل كذلك، حتى بقيتُ وحدي مع نبـيِّ اللَّهِ..

الجميع: صلى الله عليه وسلم.

فقال النبـيُّ: من للقوم؟

قلت: أنا.

فقاتلتُ قتالَ الأحد عشر الذين استشهدوا، حتى قُطعتْ إصبعي، فقلتُ: حسِّ.

فقال رسول الله ﷺ:

«لو قلتَ باسم الله لرفعتْك الملائكةُ والناسُ ينظرون».

فأثنتْ صادقة على بطولته وتضحياته ثم قالت:

ــ تذكرتُ الآن حديثاً شريفاً روتْه أمُّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ يمشي على الأرض قد قضى نَحْبَه، فلينظرْ إلى طلحة».

فسألتُ عن معنى: (قضى نَحْبَه) فقالت صادقة:

ــ النَّحْبُ: النَّذْرُ. كأنه ألزم نفسه أن يموت على وصف معيَّنٍ فوفى بنذره، وجدّي طلحة بن عبيد الله التزم أن يَصْدُقَ اللَّهَ في الحرب لأعدائه، فوفى بما التزم به.

والتفتتْ صادقة إلى سيِّدي طلحة ثم قالت، متابعةً حديثها السابق:

ــ ثمّ إنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابيٍّ أن يسأل رسولَ الله ﷺ، عن الرجل الذي قضى نحبه، فسأله الأعرابيُّ، فأعرض الرسول القائد عنه، ثمّ سأله فأعرض عنه، ثم طلع جدّي طلحة من باب المسجد، وعليه ثيابٌ خُضْرٌ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال:

«أين السائل عمّن قضى نحبه؟».

قال الأعرابيُّ: أنا.

قال النبـيّ الكريم، وهو يشير إلى طلحة: «هذا ممن قضى نحبه».

فسألتُ صادقة:

ـ لماذا لم يسأل الصحابة الرسولَ القائد، ودفعوا الأعرابـيَّ لسؤاله؟

فأجاب سيِّدي طلحة الخير:

ـ كنّا لا نجترىء على مسألته ﷺ، توقيراً له ومهابة.

كـانـت فـي نفسـي معـانٍ حبيسـة، لاحـظ سيِّـدي طلحـةُ الخيـر اضطرابها في نفسي، فقال:

ـ مالك يا بُنيّ؟ كأن في فمك كلمات تريد أن تقولها!.

قلت:

ـ بلى يا سيِّدي..

ـ قلْها ولا تحبسْها.

ـ الحقُّ يا سيِّدي أنا أكره الحديث عن غزوة أُحُد، لما كان فيها من مصائب، فقد خالف الرماة أوامر الرسول القائد، وهذه كبيـرة، فقـد تسبَّبُـوا فـي استشهـاد سبعيـن مجـاهـداً بطـلاً، كحمـزة ومصعب، رضي الله عنهم جميعاً، وكنتَ أنتَ يا سيّدي تتلقَّى عن الرسول القائد ضربات السيوف، وطعنات الرماح، ورميات السهام، ضنّاً بحياة الرسول القائد، ودفعاً لأيّ أذى عنه، حتى ذهبت إصبعك

وأنت تدفع بكفّك سهماً مُرَيَّشاً كان موجَّهاً لرسول الله ﷺ، حتى شُلَّتْ يدك.

فقال طلحة الخير:

ـ وقد عزّانا الله تعالى على ما أصابنا بقوله الكريم:

﴿إن يَمْسَسْكم قَرْحٌ فقد مسَّ القومَ قرح مثلُه، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلمَ اللَّهُ الذين آمنوا، ويتّخذَ منكم شهداءَ، واللَّهُ لا يحبُّ الظالمين، وليمحِّصَ اللَّهُ الذين آمنوا ويَمْحَقَ الكافرين﴾.

ـ صدق الله العظيم.

ـ ثم ماذا يا سيِّدي عن جهادك المبرور، تحت لواء قائد المجاهدين، عليه أفضل الصلاة والتسليم؟

قال طلحة الخير:

ـ شهدتُ المشاهدَ كُلَّها مع رسول الله ﷺ.. منها غزوة ذات العُشَيْرَة التي غزاها رسول الله ﷺ في السنة الثانية من الهجرة، في شهر جمادى الآخرة، وكان أسد الله حمزة حامل اللواء.. وكان اللواء أبيض.. كنا مئة وخمسين مجاهداً، خرجنا على ثلاثين بعيراً، لنعترض عيراً لقريش كانت ذاهبة إلى الشام، وفيها أموال عظيمة لقريش. وذات العشيرة بناحية (ينبُع) ولكنّ العير فاتتنا بأيام، فرجعنا إلى المدينة ننتظرها.

فقالت صادقة:

ـ وفي هذه الغزوة اشتريتَ، يا جدّي العزيز، بئراً فتصدّقْتَ بها، ونحرتَ جملاً، فأطعمتَ المسلمين، وسقيتَهم، فقال لك الرسول القائد ﷺ:

«يا طلحة! أنتَ الفيّاض».

فصرتَ طلحة الفيّاض، وفزتَ بهذا الشرف العظيم، كما فزتَ بشرف طلحة الجود في غزوة حنين، وهذا ليس بغريب على من شهد له الرسول القائد بالجنة عندما قال عليه الصلاة والسلام:

«أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وسعدُ بنُ أبي وقّاص في الجنة، وسعيدُ بنُ زيدٍ بن عمرو بن نُفَيْلٍ في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» رضي الله عنكم جميعاً وأرضاكم يا سادتنا وأجدادنا العظام.

وليس ذلك اللقب، أو تلك الألقاب التي لقّبك بها الرسول القائد، بكثيرة على من قال له عليه الصلاة والسلام:

«أبشِرْ يا أبا محمد، إنّ الله قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخَّر، وقد أثبتَ اسمك في ديوان المقرَّبين».

وعلى من قال له عليه الصلاة والسلام:

«أنتَ سِلْفي في الدنيا، وأنت سِلْفي في الآخرة».

فسألتُ أختي صادقة عن معنى هذا الحديث فقالت:

ـ سيِّدنا الرسول القائد عليه السلام تزوج زينب ـ أمّ

المؤمنين ــ رضي الله عنها، وهي أخت حَمْنَة زوجة جدّنا طلحة، وأمُّهما أميمة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، فالرسول وطلحة سِلْفان.

فلم أملك نفسي، فأبديتُ إعجابي باطّلاع أختي على سيرة الأجداد والجدّات، ونويتُ في نفسي، أن أجدّ وأجتهد في مطالعة السيرة النبوية، وسير آبائنا وأجدادنا العظام، حتى أكون مثل صادقة، إن لم أتفوّق عليها. ثم قلت:

ــ ثم ماذا بعدُ يا سيِّدي طلحة الخير؟ أليس من ذكرى عن اليهود؟

قال طلحة رضي الله عنه:

ــ عندما كان رسول الله ﷺ يجهّز جيش العسرة في غزوة تبوك، بلغه أنّ ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعثني النبيّ ﷺ إليهم في نفر من أصحابه، وأمرني أن أحرّق عليهم بيت سويلم اليهودي، ففعلتُ.

ــ سلمت يداك يا سيِّدي، فاليهود أوباش، وهم أعداء أَلِدَّاء لكل مسلم، منذ كان الإسلام، وحتى يومنا هذا، فإننا نعاني منهم الكثير الكثير منذ قرن من الزمان.

فقال طلحة بن عبيد الله:

ــ استعينوا عليهم بهذا الإسلام، فهو وحده الذي كسر

رؤوسهم، وخَضَدَ شوكتهم، ثم استأصلهم من جزيرة العرب، ولولا رحمة الإسلام، لكان من الواجب استئصال شأفتهم، وإراحة الناس من شرورهم.

وقلت لسيِّدي طلحة:

ــ لقد كنتَ يا سيِّدي من الستة الذين اختارهم عمر لاختيار خليفة للمسلمين من بعده، فهل استشارك أمير المؤمنين عمر في شأن ذي بال؟

أجاب الصحابيُّ الجليل بقوله:

ــ ما كان أمير المؤمنين عمر ليقطع بأمرٍ ذي بال، إلاَّ بعد استشارة صحابة رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار، وكذلك كان الخليفة أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه. وعندما شاور عمرُ الناس في قتال الفرس الذين اجتمعوا في (نهاوند) قمتُ وقلتُ:

«أما بعدُ ــ يا أمير المؤمنين ــ فقد أحكمتْك الأمورُ، وعَجَنَتْك البلايا، واحتنكَتْك التجارِبُ، فأنتَ وشأنَك، وأنتَ ورأيَك، إليك هذا الأمر. فَمُرْنا نُطِعْ، وادْعُنا نُجِبْ، واحملْنا نَرْكَبْ، وقُدْنا نَنْقَدْ، فإنك وليُّ هذه الأمور، وقد بَلَوْتَ واختبَرْتَ، فلم ينكشفْ لك عن شيء من عواقب قضاء الله عزَّ وجلَّ إلاَّ عن خِيار».

فقالت صادقة:

ــ ما هذه الفصاحة يا جدّي؟! فقد أبلغتَ أميرَ المؤمنين أنه

صاحب الأمر، وأنه الحكيم ذو الرأي السديد، وأنكم الجنود المطيعون.. قلتَ كلَّ هذا بكلماتٍ وجيزات. فما أبلغَك!.

وقلتُ أنا:

ــ هل شاركتَ في حروب الرِّدَّة يا سيِّدي؟

أجاب البطل طلحة:

ــ أجل.. فعندما تُوفي رسولُ الله ﷺ، وارتدَّتْ بعضُ القبائل العربية، وتصدّى لحربها الخليفةُ الصِّدِّيق رضي الله عنه، عندما فكّرتْ بمهاجمة المدينة، ووصلتْ إلى مشارفها، كنتُ في طليعة مَنْ خرجَ مع الصِّدِّيق لقتال المرتدّين.. كنتُ مع عليّ والزبير وعمر وسائر أبطال المسلمين.. قاتلْناهم، وهزمْناهم بعون الله وفضله.

ــ ومع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه؟

ــ كنتُ من أهل شوراه، أَأْتَمِرُ بأمره، وأحضر مجالسه، وعندما ذهب إلى الشام، وقَدِمَ الجابية كنتُ معه، وجعلني على رأس المهاجرين.

قالت صادقة:

ــ روايتُك لحديث الرسول الكريم، قليلة، كما يقولون، فهل لهذا من سبب! هذه واحدة، والأخرى: ألا تروي لنا بعض الأحاديث الشريفة يا جدّي؟

قال طلحة رضي الله عنه:

ـ جاءني رجل فقال:

أرأيْتُكم هذا اليماني (يعني أبا هريرة) هو أعلم بحديث رسول الله منكم، نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم.

فقلت له:

ـ أمَّا أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشكّ، وسأخبرك: إنّا كنّا أهل بيوت، وكنّا إنّما نأتي رسولَ الله غُدوةً وعشيّة، وكان (أبو هريرة) مسكيناً لا مال له! إنما هو على باب رسول الله، فلا أشكُّ أنه قد سمع ما لم نسمع.. وهل تجد أحداً فيه خيرٌ يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟

فهذا هو السبب في قلة تحديثي عن رسول الله ﷺ.

وسأروي لكما بعض الأحاديث النبوية، مما لي به صلة.

قال لي عمر بن الخطاب يوماً:

ـ مالي أراك شَعِثْتَ واغبَرَرْتَ مُذْ تُوفّي رسولُ الله ﷺ؟ لعلّه أنّ ما بك إمارة ابن عمّك؟ يعني أبا بكر.

فقلت:

ـ معاذَ الله!. إني سمعته يقول:

«إني لأعلمُ كلمة لا يقولها رجلٌ يحضُره الموت، إلاَّ وَجَدَت رُوحُه لها رَوْحاً حين تخرج من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة».

فلم أسأل رسولَ الله ﷺ عنها، ولم يخبرني بها، فذاك الذي دخلني».

قال عمر:

ـ فأنا أعلمها.

قلتُ:

ـ فللَّه الحمد، فما هي؟

قـال:

ـ الكلمة التي قالها لعمه.

قلت: صدقت.

قالت صادقة:

ـ أنا أحفظ الحديث على الشكل التالي:

عن يحيـى بن طلحة، عن أمّه سُعدى المرّيّة قالت:

ـ مرَّ عمر بن الخطاب بطلحة بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو مكتئب، فقال (عمر): أساءَتْك إمرةُ ابن عمّك؟ (يعني أبا بكر). قال (طلحة): لا. ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها عبدٌ عند موته! إلاَّ كانت له نوراً لصحيفته، وإنّ جسده وروحه ليجدان لها رَوْحاً عند الموت».

فقُبضَ ولم أسأله (عنها).

فقال (عمر): ما أعلمُها إلاَّ الكلمةَ التي أراد عليها عمَّه، ولو علم أنّ شيئاً أنجى له منها، لأمره به.

فسألتُ عن تلك الكلمة، فقال طلحة:

ـ لا إله إلاَّ الله.. هي والله هي.

فدعوتُ الله أن يلهمني إياها وقت احتضاري، ثم قلت:

ـ نريد المزيد من هذه الأحاديث يا سيِّدي.

قال طلحة رضي الله عنه:

ـ صلَّى رسول الله ﷺ يوماً فسلَّمَ وانصرف، وقد بقي من الصلاة ركعة، فلحقتُ به وأدركتُه فقلتُ له: نسيتَ من الصلاة ركعة. فرجع فدخل المسجد، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى للناس ركعة.

وإليكم هذه الواقعة:

ـ مررتُ مع رسول الله ﷺ في نخل، فرأى قوماً يُلَقِّحون (أي النخل) فقال:

«ما يصنع هؤلاء؟».

قالوا: يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى.

قال:

«ما أظنُّ ذلك يغني شيئاً».

فبلغهم، فتركوه، فلم يَصْلُحْ، فقال النبيُّ ﷺ:

«إنما هو ظنّ، فإن كان يغني شيئاً فاصنعوه، فإنما أنا بشرٌ مثلُكم، وإنّ الظنَّ يخطىء ويصيب، ولكنْ.. ما قلتُ لكم عن الله عزَّ وجلَّ، فلن أكذب على الله».

وقال طلحة رضي الله عنه:

ـ دخلتُ على النبـيّ ﷺ وبيده سفرجلة، فقال:

«دُوْنَـكهـا ـ أي خـذهـا ـ يـا طلحـة، فـإنهـا تُجِـمُّ الفـؤاد» أي تنعشه.

قالت صادقة:

ـ تحدّثنا كتب السير والتاريخ يا جدّي العزيز، عن علقمة بن وقّاص الليثي قال: لمّا خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان رضي الله عنه، عرَّجوا عن مُنْصَرَفهم بذات عِرْق، فاستصغروا عروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن، فردّوهما. قال: ورأيت طلحة، وأَحَبُّ المجالسِ إليه أخلاها، وهو ضاربٌ بلحيته على زَوْره، فقلت:

ـ يا أبا محمد! إني أراك وأحَبُّ المجالس إليك أخلاها (من الناس). إن كنتَ تكره هذا الأمر، فدعْه.

فقال (طلحة):

ـ يـا علقمـة!. لا تلمنـي. . كنّـا أمـسِ، يـداً واحـدة علـى مَـنْ سِوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحَف أحدُنا إلى صاحبه. . ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان، مما لا أرى كفّارته إلاَّ سَفْك دمي، وطلبَ دمِه.

فقلتُ:

ـ ما معنى هذا الكلام يا سيِّدي؟

قال طلحة رضي الله عنه:

ـ كلام أختك واضح.. كنتُ كئيباً حزيناً لما يجري بيننا.. كنا يداً واحدة على مَنْ سوانا، ففتحنا العراق وفارس وبلاد الشام ومصر وليبيا، ثم اختلفنا وكان اختلافنا شديداً.. صرنا جبلين من حديد يتزاحفان للقتال، بدل أن نكون جبلاً واحداً نزحف لنشر الإسلام في الأرض..

وسكت طلحة لحظات ثم قال:

ـ كنت وما زلت حزيناً، وسأبقى حزيناً على ما كان بيننا من نزغ الشيطان، فقد قصّرتُ أنا في الدفاع عن ذي النورين أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وكان الواجب أن أبذل أنا وسواي من كبار الصحابة.. كان الواجب أن نبذل دماءنا دفاعاً عنه، ولكننا تركناه للأوباش والسفلة من الذين انخدعوا بما كان يشيعه اليهوديُّ عبد الله بن سبأ وأتباعه من الحاقدين والغوغاء.

فقالت صادقة:

ـ تحدّثنا كتب التاريخ، يا جدّي العزيز، أنّ عليّاً كرّم الله وجهه، انتهى إليك بعد استشهادك، فنزل عن دابّته، وأجلسك، ومسح الغبار عن وجهك ولحيتك، وهو يترحّم عليك، ثم قال: ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

فقال طلحة:

ـ رضي الله عن ابن أبي طالب، وسامحه، فقد كنّا أخوين في الله، نشأنا على طاعة الله، وقاتلنا في سبيل الله، وبذلنا وسعنا في

نصرة دين الله، ونصرة رسوله ﷺ، ثم نزغ الشيطان بيننا، فكان ما كان، مما نرجو من الله الكريم أن يسامحنا في اجتهادنا الخاطىء فيه.

وقالت صادقة:

ــ ويحدّثنا التاريخ عن أبي حبيبة، (مولى لطلحة) قال:

ــ دخلتُ على عليٍّ مع عمران بن طلحة، بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحَّبَ به وأدناه، وقال:

ــ إني لأرجو أن يجعلني وأباك من الذين قال الله تعالى فيهم: «ونزعْنا ما في صدورهم من غِلٍّ إخواناً على سُرُرٍ متقابلين».

وقال عليّ كرَّم الله وجهه:

«يا ابن أخي، كيف فلان؟ كيف فلان؟»

وسأله عن أمهات أولاد أبيه، ثم قال له:

«لم نقبض أرضكم هذه إلاَّ مخافة أن ينهبها الناس.. يا فلان، انطلقْ به إلى ابن قرطة، فليعطه غلّته، وليدفعْ إليه أرضه».

فقال رجلان جالسان ناحية، أحدهما الحارث الأعور:

ــ الله أعدل من ذلك، أن يقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة.

فقال عليٌّ رضي الله عنه:

ــ قوما.

وأبعدهما وطردهما، وهو يقول:

«فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة أخوين؟

يا ابن أخي، إذا كان لك حاجة فأتِنا».

وقال عليٌّ كرّم الله وجهه:

«إني، والله، لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعْنا ما في صدورهم من غلٍّ، إخواناً على سُرُرٍ متقابلين﴾.

وقال عليٌّ رضي الله عنه يرثيك:

«عزيزٌ عليَّ، أبا محمد، بأن أراك مجدَّلاً في الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري» (أي سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي).

وقال: «بشّروا قاتل طلحة بالنار».

• • •

المصادر والمراجع

١ ــ السيرة النبوية، لابن كثير.

٢ ــ السيرة النبوية، لابن هشام.

٣ ــ رجال أنزل الله فيهم قرآناً، عبد الرحمن عميرة.

٤ ــ صفة الصفوة، لابن الجوزي.

٥ ــ رجال حول الرسول، خالد محمد خالد.

٦ ــ حلية الأولياء، لأبي نعيم.

٧ ــ الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

● ● ●